



هل وصل صوت معاناة الضحايا الذين تطحنهم آلات الحرب الثقيلة! بالطبع لا . اللهم من قنوات فضائية تصنع ببطء شديد أفلامًا وثائقية ستكون جاهزة بعد سنين ستتهش الحرب فيها مزيدًا من لحم الضحايا وتطحن عظامهم، قبل أن يشاهده مثقف الفيلم ثم يشعر بعدها بالملل أو الألم فينام.

اشعروا بنا الآن وحولوا مشاعركم إلى فعلٍ فارق يمكننا أن نشعر معه بأخوة القضية وإلا فخذوا كلَّ هذا المجد الذي تحسدوننا عليه وأعيدوا لنا حياتنا السخيفة قبل هذا "الهباء كامل التكوين".

والسلام عليك أيها الفلسطيني الوحيد للأبد وللأبد.

بين طفلين

(١)

ينام الطفل الإسرائيلي على سريريه الدافئ مطمئنًا إلى الضوء الأزرق الخافت في حجرته المستقلة، سعيداً بكرات الشيكولاتة وقطع البسكويت التي توفرها المساعدات الخارجية لأسرته، واثقاً أن بابا نويل لن يخلف وعده وأنه سيأتي ليلة رأس السنة وبعدها يحمل له الهدايا والحلويات.

في الصباح يتوجه لمدرسته فيركب في باص مُلوّن و مُكيّف.

في قاعة الصف يكتب شرحاً بـجِصّة الإنشاء والتعبير "العالم يحب إسرائيل شكراً للعالم الذي يستحق الحياة طالما أحب بلادي".

وفي جِصّة الجغرافيا يرسم الكرة الأرضية ثم يضعها داخل قلب أزرق.

يصفق له الزملاء والمُدّرسة الشقراء الأنيقة، ثم يعود مسروراً لبيته يحدث أبويه عن مغامراته في المدرسة.



تقبله أمه وتجلس و أبوه و أخته الصغيرة حول مائدة الطعام. يتابعون فيلم السهرة على شاشة عملاقة مثبتة إلى حائط في صالة البيت.

(٢)

الطفل الفلسطيني يتمدد في خيمة يفترش الأرض الباردة وقد لا يجد ما يلتحف به، فيلتصق بأمه ومن تبقى من إخوته أحياء بحثاً عن الدفء، تستفرد به أرتال الظلام وأسراب الخوف وتنهش لحمه أنياب البرد ومخالب الحرمان.

وكلما نجحت أمه في هدهدته أفضلت لها أصوات الانفجارات محاولاتها، فيفزع أطفالها تبرق خيمتهم بنيران القصف التي تسعى في السماء تحرق البيوت والأجساد وتلتهم فلول الأمان.

في الصباح ينهض يقاوم حبال النعاس التي تشده إلى الفراش فيسعى تحت المطر يرتجف برداً يبحث عن عيدان حطب صغير و قطع الكرتون يجمعها لتعد أمه وجبة الفطور.

يمر على مدرسته التي تحولت إلى مركز إيواء فيتذكر معلمته الشهيدة وبعد أسماء اصدقائه وزملائه الشهداء وعلى سبيل الوفاء يكتب أسماءهم جمعياً بقطعة فحم على مساحة فارغة في سور المدرسة الخارجي لم تنل منه بعد خيام النازحين.

في طريق عودته يتبادر لذهن الطفل سؤالاً لا يجد له جواباً: لماذا تخرى عنا العرب أوليس العرب أخوة؟

يطير السؤال ومرارة الإجابة مع ألسنة الدخان بينما تحاول أمه إشعال الحطب المُبلل الذي جمعه، فيضطر أن يجلس على ركبتيه لينفخ على الموقد بلا فائدة.

تتمتم أمه: ع الفاضي ياما.

يردد خلفها: ع الفاضي ع الفاضي هينا بنحاول.

أيها الفلسطيني الوحيد للأبد



• اخواتك ماتوا من الجوع.

• النا الله وبس ياما.

الكاتب: سعيد محمد الكحلوت